مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢٠٠٨/٤٣

الأحد ٢٦ تشرين الأول

تذكار القديس المعظم في الشهداء ديمتريوس المفيض الطيب

وذكرى حدوث الزلزلة العظيمة

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثامن

الرسالة

(٢ تيموثاوس ٢: ١–١٠)

يا ولدي تيموثاوسَ تقوَّ في النعمةِ التي في المسيحِ يسوع* وما سمِعتَهُ مني لدى شهودٍ كثيرينَ استودِعْهُ أُناساً أُمناءَ كفْوًا لأن يُعلِّموا آخرينَ أيضاً* إحتَمِلِ المشقّاتِ كجُنديٍّ صالحٍ ليسوعَ المسيح* ليس أحدٌ يتجنَّدُ فيرتَبِك بهمومِ الحياة. وذلك ليُرضيَ الذي جنَّدَهُ* وأيضاً إن كان أحدٌ يُجاهِدُ فلا ينالُ الإكليلَ ما لم يُجاهِد جهاداً شرعيًّا* ويجب أنَّ الحارثَ الذي يتعبُ أن يشترِكَ في الإثمارِ أولاً* إفهم ما أقول. فليُؤتِكَ الربُّ فهماً في كلِّ شيءٍ* أُذكرْ أنَّ يسوعَ المسيحَ الذي من نسلِ داودَ قد قامَ من بينِ الأمواتِ على حسَبِ إنجيلي* الذي أحتمِلُ فيه المشقّاتِ حتى القيودَ كمُجرمٍ إلاَّ أنَّ كلمةَ اللهِ لا تُقيَّد* فلذلك أنا أصبرُ على كلِّ شيءٍ من أجلِ

الشهادة للمسيح

الشهداء في الكنيسة هم القديسون الذين جاهروا بإيمانهم بالمسيح وقُتلوا بسبب اعترافهم به مثل القديس ديمتريوس الذي نعيِّد له اليوم. هؤلاء فقط يدعون شهداء مع ان الشهادة للمسيح هي مطلوبة من كل مؤمن ولكن البعض فقط يؤهَّلون لموت الشهادة.

الشهادة أو البشارة هي من ركائز الكنيسة ولكن تواجهها في كل العصور صعوبات جمة ومتنوعة.

الكنيسة منذ نشأتها اعتمدت على البشارة إذ نعلم ان المسيح عيّن سبعين تلميذاً وأرسلهم ليكرزوا باقتراب الملكوت: «وبعد ذلك عيَّن الربُّ سبعينَ آخرينَ أيضاً وأرسلهم إثنين إثنين أمام وجهه إلى كُلِّ مدينةٍ وموضعٍ حيث كان هو مزمعاً أن يأتي» (لو ١٠:١)، كذلك الرسل أرسلوا تلاميذهم للبشارة كما نقرأ في رسالة العيد اليوم: «وما سمِعتَهُ منّي لدى شهودٍ كثيرينَ استَودِعْهُ أُناساً أمناءَ كفْوًا لأن يُعلِّموا آخرينَ أيضاً» (٢ تيمو ٢:٢)، حتى الإنجيل الذي هو الركيزة الأساسية للتعليم المسيحي، إسمه يعني البشارة السارة.

ابن الله الوحيد الذي لبس جسدنا وعاش بيننا أراد عبر تجسده وتعاليمه وموته وقيامته أن يخلِّص العالم، والخلاص الذي أعدَّه الرب يسوع لم يكن لمجموعة من الناس بل لكل البشر الذين يقبلون البشارة، هذه البشارة تحتاج لأشخاص ينقلونها لباقي الناس: «لأن كلَّ مَن يدعو باسمِ الربِّ يَخلُص، فكيف يدْعُون بمن لم يؤمنوا به، وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به، وكيف يسمعون بلا كارزٍ، وكيف يكرزونَ إن لم يُرسَلوا، كما هو مكتوبٌ ما أجملَ أقدامَ المبشِّرينَ بالسلامِ المبشِّرينَ بالخيرات» (رو ١٠: ١٣–١٥). واجب المؤمن أن يشهد لإيمانه ويبشِّر به في حياته لأنه لا يجوز لنا أن نحتفظ بالمسيح لأنفسنا بل علينا أن ننقله لكل الناس لأنَّ الله يحبنا جميعاً «الذي يريدُ أنَّ جميعَ الناسِ يخلُصون وإلى معرفةِ الحقِّ يُقبِلون» (١تيمو ٢: ٤).

ان الشهادة الحقيقية للمسيح لا تخلو من صعوبات كثيرة فهي تقتضي بأن يكون المسيحي مؤمنا

المختارينَ لكي يحصُلوا هم أيضاً على الخلاصِ الذي في المسيحِ يسوع مع المجد الأبدي.

الإنجيل

(لوقا ٨: ٢٧-٣٩)

في ذلك الزمانِ أتى يسوعُ إلى كورةِ الجرجُسيينَ فاستقبَلَهُ رجلٌ من المدينة به شياطينُ منذ زمانٍ طويل ولم يكن يلبَسُ ثوباً ولا يأوي إلى بيتٍ بل إلى القبور* فلمَّا رأى يسوعَ صاحَ وخرَّ له وقال بصوتٍ عظيمٍ ما لي ولك يا يسوعُ ابنَ اللهِ العليِّ. أطلبُ إليك ألاَّ تُعذِّبني* فإنَّه أمرَ الروحَ النجسَ أن يخرُجَ من الإنسان لأنَّه كان قد اختطَفَهُ منذ زمانٍ طويل وكان يُربَط بسلاسِلَ ويُحبَسُ بقيودٍ فيقطعُ الرُّبُطَ ويُساقُ من الشيطانِ إلى البراري* فسألهُ يسوعُ قائلاً ما اسمُك. فقال لَجْيونُ لأنَّ شياطينَ كثيرين كانوا قد دخلوا فيه* وطلبوا إليه أن لا يأمُرَهم بالذهاب إلى الهاوية* وكان هناك قطيعُ خنازيرَ كثيرةٍ ترعى في الجبل* فطلبوا إليه أن يأذَنَ لهم بالدخولِ فيها

حقاً وأن يدرس الكتب والتعاليم الكنسيَّة لكي ينقل التعليم صحيحاً للآخرين إذ ان التعليم غير الصحيح قد يؤدي إلى هلاك نفوس السامعين، إضافة إلى ذلك سيلاقي مَن يبتغي الشهادة للمسيح مواجهة عنيفة في العالم من الشيطان الذي سيستخدم كل الوسائل لإفشال مهمة المؤمن.

اختلفت الصعوبات التي واجهت محبي المسيح عبر العصور لكن دون أن تمنعهم من الشهادة للحق لأن «كلمة الله لا تُقيَّدُ» (٢ تيمو ٢: ٩). في القرون الأولى لانتشار المسيحية طغى عنصر تعذيب وقتل المؤمنين الذين ينقلون بشارة الخلاص: «أُذكُر يسوعَ المسيحَ المُقامَ من الأمواتِ من نسلِ داودَ بحسبِ إنجيلي الذي فيه أحتَمِلُ المشقَّاتِ حتى القيودَ كمُذنِبٍ» (٢ تيمو ٢: ٨-٩)، هذا الكلام يوضح ما كان يحتمله المؤمنون من تعذيبات في السجون ورمي للوحوش وتقطيع الأعضاء وصلب وقطع هامات وعذابات مختلفة لسنا بوارد ذكرها الآن. هذه جميعها لم تستطع أن تعيق البشارة بل لعلها زادت المؤمنين ثباتاً وصلابة في الإيمان. ثم مع مرور الزمن وانتشار المسيحية بشكل واسع ظهرت مشاكل جديدة مثل البدع والهرطقات فاستمات القديسون في دفاعهم عن إيمانهم القويم وضاعفوا نشاطهم التبشيري فعلّموا وكتبوا مقالات وكتباً يشرحون من خلالها الإيمان المستقيم لئلا يفقد أحد خلاصه متبعاً التعاليم الخاطئة. بعد ذلك واجهت الكنيسة مشاكل من نوع آخر فحصلت فيها الانشقاقات والمشاكل الداخلية إلى أن وصلنا إلى يومنا الحاضر حيث كَثُرَ المسيحيون وندر الشهداء والمبشرون. فمسيحي اليوم لا يعي مسؤوليته بالشهادة للمسيح بل أصبح شعاره المَثل الشعبي القائل: «كل بحسب دينه الله يعينه» ، حتى ضمن الدين الواحد أصبح المرء يعتبر ان من حقه أن يفسّر ويحلّل وحتى أن يؤمن بما يريد وبما يراه مناسباً له نتيجة كبريائه، فابتعد كثيرون عن معرفة الحق.

ان الهدف من حياة الإنسان هو التحرُّر من كل القيود التي نتجت عن الخطيئة لكي يحصل على الخلاص الذي بالمسيح يسوع، وهذا الهدف لا يتحقق إلاّ عبر الوصول إلى الحق: «تعرِفونَ الحقَّ والحقُّ يُحرِّركم» (يو ٨: ٣٢). والحق هذا ليس فكرة أو نظرية بل هو شخص بذل نفسه فداءً عنا: «أنا هو الطريقُ والحقُّ والحياةُ» (يو ١٤: ٦). فلنسعَ بنعمة الله وبمعونة الكنيسة وآبائها ومعلّميها للإتحاد بالرب يسوع ولمعرفته جيداً حتى نؤهَّل لنكون شهداء له في حياتنا عبر عيش الإيمان ثم نقله للآخرين لنكون منارة تضيء ظلمة العائشين في ليل الجهل والخطايا.

رسالة يعقوب: التجارب

بعد إهداء الرسول يعقوب السلام إلى قُرّاء رسالته، ينتقل مباشرة إلى حثهم على قبول التجارب والمحن بفرح. فالإيمان الحقيقي يُمتحن في الحياة اليومية ويكون فاعلاً من أجل الخلاص. يقول: «أحسِبوهُ كلَّ فَرَحٍ يا إخوتي حينما تقعونَ في تجاربَ متنوِّعة، عالمينَ أنَّ امتحانَ إيمانِكم يُنشئُ صبراً» (١: ٢ و٣).

يدعو يعقوب المسيحيين إلى الفرح عندما تحوطهم التجارب

فَأَذِنَ لهم* فخرجَ الشياطينُ مِنَ الإنسانِ ودخلوا في الخنازيرِ فوثبَ القطيعُ عنِ الجُرْفِ إلى البُحيرةِ فاختنقَ* فلمَّا رأى الرُّعاةُ ما حدثَ هربوا فأخبروا في المدينة وفي الحقول* فخرجوا ليرَوْا ما حدث وأتوا إلى يسوعَ فوجدوا الإنسانَ الذي خرجتْ منهُ الشياطينُ جالساً عند قدَمَيْ يسوعَ لابساً صحيحَ العقل فخافوا* وأخبرهم الناظِرون أيضاً كيف أُبْرِئَ المجنونُ* فسألَه جميعُ جمهورِ كورةِ الجِرجُسيين أن ينصرفَ عنهم لأنَّه اعتراهم خوفٌ عظيم. فدخل السفينةَ ورجَعَ* فسأله الرجلُ الذي خرجَتْ منه الشياطينُ أن يكونَ معه. فصرَفَهُ يسوعُ قائلاً إرجعْ إلى بيتك وحدِّثْ بما صنعَ اللهُ إليك. فذهب وهو ينادي في المدينة كلِّها بما صنع إليهِ يسوع.

تأمل

لماذا لا يُخفي الله الشيطان عدوّ الناس الذي خدع آدم وحواء ويتابع محاربتنا جميعنا بوحشية؟ كان هذا الطلب ليصبح مبرّراً لو سيطر علينا الشيطان بالقوة، لكن بما أنه لا يملك الإمكانية

لأنها تساعدهم على النضوج. ويذكر يعقوب في رسالته بعض هذه التجارب: الفقر (١:٩)، الإحتقار (٢:٣)، النميمة (٣: ٢)، الغيرة والتحزّب والحسد (٣:١٤، ٤:٢)، المرض (٥: ١٣-١٤).المحن والتجارب تقودنا إلى العمل وإلى التفكير واتخاذ مواقف جديدة في حياتنا. فالألم يكشف ما في أعماق النفوس. في المحن تبرز صفات الشخص وتتنقى كما يتنقى المعدن الثمين حين يمر في البودقة، في النار. هكذا حصل مع إبرهيم ويوسف وأيوب عندما امتُحن إيمانهم بالتجارب. ولما رأى الله ثبات إيمانهم في المحن التي مرّوا بها باركهم ومنحهم الخيرات الوافرة: «بذاتي أقسَمتُ يقولُ الربُّ إنّي من أجل أنّكَ (أي إبرهيم) فعلتَ هذا الأمرَ ولَم تُمسِكِ ابنكَ وحيدكَ، أُباركُكَ مباركةً وأُكثِّرُ نسلَكَ... ويتباركُ في نسلِكَ جميعُ أُممِ الأرض. من أجلِ أنَّك سمعتَ لقولي» (تك ٢٢: ١٦- ١٨).

إذاً، الثبات في التجارب والمحن دليل ثبات في الإيمان، و«الذي يصبِرُ إلى المنتهى فهذا يخلُصُ» (متى ١٠:٢٢). المهم بالنسبة للمؤمن المسيحي ما سيناله في الآخرة: «طوبى للمساكينِ بالروحِ لأنَّ لهم ملكوتَ السمواتِ... طوبى للمطرودينَ من أجلِ البرِّ لأنَّ لهم ملكوتَ السمواتِ، طوبى لكم إذا عيَّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمةِ شريرةِ منِ أجلي كاذبين. **افرَحوا وتهلَّلوا** لأنَّ أجرَكم عظيمٌ في السموات» (متى ٥: ٣-١٢). الفرح هو بخيرات مستقبلة سوف ينالها المؤمن في ملكوت السموات. هذا هو سبب دعوة الرسول يعقوب المؤمنين لأن يفرحوا بالتجارب. وبما انه يُدرك ان المؤمنين سوف يتعجبون من هذه الدعوة يجيبهم بقوله: «طوبى للرجلِ الذي يحتملُ التجربةَ، لأنَّه إذا تزكَّى ينالُ إكليلَ الحياةِ الذي وعدَ به الربُّ للذينَ يُحبُّونه» (يع ١:١٢). إن الفرح بالتعرّض للتجربة مرتبط بالخلاص الذي سيناله المؤمن، لأن التجربة بالنسبة للمؤمن الحقيقي هي مناسبة لكي يُظهر ثباته في الإيمان وهكذا يخلص. فرحه ان اسمه سوف يكتب في السموات (لو ١٠:٢٠).

يقول يعقوب: «عالمينَ أنَّ امتحانَ إيمانكم يُنشئُ صبراً» (١:٣). والصبر هنا، كما يقول أحد الكتّاب المعاصرين، «لا يحمل المعنى السلبي الذي فيه يستسلم الإنسان بخنوع... وإنما الصبر هنا يعني الجانب الإيجابي، الصبر المملوء حباً... حيث يرمي الإنسان آلامه على الرب المتألم بفرح في حب ورضى...». الرسول يطلب الصبر المقرون بالفرح لا بالتذمر، الصبر المقرون بالأعمال لا الإنكفاء والتخاذل. لذا يقول: «وأما الصبرُ فليكن له عملٌ تامٌّ لكي تكونوا تامينَ وكاملينَ غيرَ ناقصينَ في شيء» (١:٤). الصبر هو دليل نقاء الإيمان، والإيمان بحسب يعقوب «إن لم يكن له أعمالٌ ميّتٌ في ذاته» (٢:١٧). إذاً، الصبر يُعرف بالأعمال، والأعمالِ تبرّر الإنسان وتظهره تاماً وكاملاً وغير ناقص في شيء.

بعد الحديث عن التجارب والثبات والصبر يدعونا الرسول يعقوب إلى طلب الحكمة من الله لكي نحتمل التجارب ونفهم المقصود منها، كما يوضح كيفية طلب الإنسانِ إلى الله «وإنَّما إن كان أحدُكم تُعوِزهُ حِكمةٌ

لدفعنا إلى الشرّ عنوةً، وبما أنّ أهدافه يمكن أن تتحقق فقط بمساهمتنا، وبما أننا نعمل مشيئته، وهذا يتعلّق باختيارنا، فلماذا نريد فقدان سبب نجاحنا في جهادنا ضده وإمكانية انتصارنا وتكليلنا؟

وحتى في الحالة الإفتراضيّة بأنّ الشيطان سيتمكّن من الانتصار على جميع الناس ويقودهم إلى الهلاك، أيضاً ليس علينا أن نندهش لو أنّ الله تركه حرًّا في عمله المدمّر، لأنّ انتصاره وسيطرته علينا يتوقّفان علينا. نحن نصبح عبيداً له بإرادتنا وليس رغماً عنا، وهذا يبرهنه كلّ الذين انتصروا عليه حتى اليوم، وهم ليسوا بقليلين، وفي المستقبل أيضاً سيوجد كثيرون سيغلبونه ولكن ليس الجميع بالطبع. لهذا بالضبط، إنه صحيح وعادل جداً أن يجد المجاهدون الباسلون فرصاً لكي يُظهروا اختيارهم الصالح وأن يُعاقب الكسالى، بدلاً من أن يخسر الأولون من أجل الآخرين؛ الخامل وغير المبالي لا يخسر شيئاً بسبب خصمه بل بسبب خموله. إذاً، لماذا يُخفي الله الشيطان وهو بذلك يحرم الشجعان إمكانية العمل الصالح بسبب الخاملين؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

فليطلب من الله الذي يُعطي الجميع بسَخاءٍ ولا يُعيِّرُ فسيُعطى له. ولكن ليطلب بإيمانٍ غيرَ مرتابٍ البتَّةَ لأنَّ المُرتابَ يُشبهُ مَوجاً من البحرِ تَخبطُهُ الريحُ وتدفعُهُ. فلا يظُنَّ ذلك الإنسانُ أنَّه ينالُ شيئاً من عندِ الربِّ. رجلٌ ذو رأيين هو متَقَلْقِلٌ في جميعِ طُرُقِهِ» (١: ٥-٨). واضح بالنسبة للرسول ان الطريقة الوحيدة للوصول إلى الفرح في التجارب هي امتلاك الحكمة التي لا نمتلكها، ولكن ليس أية حكمة، بل الحكمة التي يمنحها الله. فإنسان اليوم قد يسعى للحصول على حكمة هذا العالم من أبناء هذا الدهر، وهذه لن تنفعه بشيء. وحدها حكمة الله تكشف القيمة المُنقيّة للمحن: «فلو كان في بني البشر أحد كامل ولم تكن معه الحكمة التي منك فلا يُحسب شيئاً» (حكمة ٩:٦). الأمر الأخير في هذا التوجيه أن نصلّي إلى الله بثقة دون ارتياب أو تردد، ودون شك بقدرة الله المعطي بسخاء.

بعدها يعطي الرسول يعقوب نموذجاً عملياً لإحدى الفضائل التي تساعد على احتمال التجارب: فضيلة التواضع. «وليفتخر الأخُ المُتَّضِعُ بارتفاعه، وأمَّا الغنيُّ فباتِّضاعه لأنّه كزهرِ العُشبِ يزول. لأنَّ الشمسَ أشرَقَتْ بالحَرِّ فيبَّسَتِ العُشبَ فسَقَطَ زهرُهُ وفَنِيَ جمالُ منظَرِهِ. هكذا يذبلُ الغنيُّ أيضاً في طُرُقِهِ» (١: ٩-١١). هنا يوجد تحذير مزدوج للفقير والغني مبني على نفس القاعدة: ان ينتبها إلى النهاية، فكل إنسان سوف تنتهي حياته في وقت ما. فلينتبه الفقير أن لا يفتخر بشيء إلا بالرب ولا يحسد الغني على غناه الذي سيزول مع الموت، وهذا كاف لكي يفرح بالتجارب. أما الغنيّ فلينتبه ان الغنى زائل. إذا وعى الغني أنه وكيل مؤقت على أمواله ومد يد العون للمحتاجين وعاش في وحدة معهم، فهذا إنسان متواضع لا يحزن إذا أتته التجربة وأخذت ثروته، فإنه مؤمن ان الرب المعطي اليوم يعطي في الغد إذا ما كان الإنسان واثقاً برحمة الرب.

في مديح الشهداء

«لقد كانوا بالحقيقة شجعانًا لذلك يستحقّون المديح. لأنه في زمن الاضطهاد، عندما كان الأخوة الآخرون يهربون من الجهاد ولا يعترفون بالمسيح أنه ابن الله، وقف الشجعانُ بكل رجولة ممنطقين أحقاءهم بالإيمان الصادق (راجع أف ٦:١٤) يعترفون ببسالة كبيرة بالمسيح أنه ابن الله.

كان الإخوة الآخرون يهربون من الجهاد أي يهربون من ملكوت الله السماوي فباتوا غيرَ مستحقين له. بينما وقف الشهداء الشجعان صامدين وصابرين على العذابات بفرح كبيرٍ من أجل اسم ابن الله الوحيد مخلص العالم.

كيف لا يكون الشهداء المطوّبون شجعانًا؟ كانوا يشاهدون بأمّ أعينهم عذاباتٍ رهيبةً قائمة أمامهم مع النار المحرقة وكل وسائل العذاب. كانوا يشاهدون الدواليب تدور في وسط النار المشتعلة وكذلك الحراب، السلاسل والرباطات المختلفة. بكلمة واحدة كانوا يرون آلات العذاب كلها، تلك التي ابتكرها العدو، عدوُّ الحق، ضد المعترفين باسم المخلّص. كلها معروضة أمام أعين الشهداء لكي تُثنيهم عن الاعتراف بيسوع المسيح... وهم بعزم ثابت وبدالة كثيرة اعترفوا بالمسيح.»

القديس أفرام السرياني

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت: